منهج محمد مهدي الآصفي في تفسيره (في رحاب القرآن)

م. د. نور نظام الدين نجم الدين
تدريسية في جامعة بغداد
كلية التربية للعلوم الانسانية- ابن رشد
قسم علوم القرآن
رقم الموبايل ٠٧٧١١٥٩٤٨٢٥

(مُلَخَّصُ البَحث)

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خير المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد...

ان التنوع في الآيات القرآنية واختلاف مستويات الفهم والادراك لمعانيها ومقاصدها وتباين اهواء ومذاقات المفسرين وتأثير الظروف الذاتية والموضوعية التي تلقي بظلالها الظاهرة الخفية على من يتصدى للتفسير قد أدى الى ظهور مناهج ومدارس مختلفة في استنطاق الكتاب الالهي والغوص في اعماقه.

ولا نريد هنا استعراض المناهج التفسيرية بالتفصيل فالذي يهمنا هنا هو القاء الضوء على كتابنا الحاضر (في رحاب القرآن) وما يتميز به من منهج المؤلف واسلوبه ومدى نجاحه في تحقيق ما يصبو اليه.

ان الجهد التفسيري للعلامة الشيخ الآصفي لا يمكن حصره في اطار ما تتضمَّنُهُ دفتا هذا الكتاب فقط فاستنطاق الشيخ للقرآن الكريم واقتداؤه به يكاد يغلب على اكثر نتاجاته الفكرية بل ان تأثير القرآن في سيرته العلمية لا يخفى حتى على عامة الناس.

الكلمات المفتاحية (التفسير، المنهج، في رحاب القرآن)

المقدمة

الحمد لله الذي نزل القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان والصلاة والسلام على نبينا محمد الذي ايده الله تعالى بقرآن وتحدى به جميع الانس والجان فقال تعالى: ﴿**قُلْ لَئِنْ اجْتَمَعَتْ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً**﴾(الاسراء:٨٨).

وبعد..

إن لكُتاب تاريخ القرآن الكريم وانجازه قديماً وحديثاً قد اسهموا بقدر كبير في معالجة الجانبين وفقاً لاهداف معينة لدى كل واحد منهم.

ومن مستلزمات هذا الاتجاه ان يكون تفسيراً موضوعياً، اذ يرى ذلك من القضايا الملحة في حركة الثقافة القرآنية في الواقع الذي يعيشه المجتمع المسلم، والذي يتطلبه المنطق الصحيح والموضوعي لفهم القرآن؛ ومن ثَمَ فنحن بحاجة الى التصور الجامع للقرآن من خلال لملمة شتات الآيات والنصوص القرآنية، للتوفر على نظرة شمولية وعميقة في تأسيس القواعد والقوانين لتلبية متطلبات الواقع الراهن.

وهنا بالضبط تكمن أبرز سمات هذا المنهج الجديد التي يلاحظ القارئ آثارها في اغلب نتاجات كتاب تلك الفترة، ومن بينهم- بل من ابرزهم- مؤلف هذا الكتاب (في رحاب القرآن) الشيخ الآصفي(قُدِّس سرُّهُ).

الشيخ الآصفي إذ انماز بأسلوب التفسير الموضوعي لآي القرآن الكريم الذي انتشر على شكل كراسات، وموضوعات قرآنية متكاملة في السفر والحضر، تحت عنوان: **(في رحاب القرآن)**.

المبحث الاول

محمد مهدي الآصفي

أولاً: اسمُهُ ونسبُهُ:

ولد الشيخ محمد مهدي الآصفي عام ١٣٥٨هـ/١٩٣٩م في النجف الاشرف مع بداية دوي المدافع، وأزيز الرصاص، إذ العالم يخوض حربه العالمية الثانية التي أعادت تشكيل خارطة العالم من جديد، وهي الحرب التي خلفت البؤس والشقاء، والفقر والعناء في العالم، وخصوصا في بلاد المسلمين.

وقد درج الآصفي في مدارج العلم والعرفان، وسلك طريقه الفكري بجد وإصرار وسط معاناة المحنة والفقر والحرمان.

وما أن نيف على العشرين من عمره، حتى أصبح رقما كبيرا في الأوساط الحوزوية والثقافية، وشخصية يشار إليها في مجالس العلم والفكر، والثقافة، والأدب، والوعي الحركي، والسياسي.

وقد كتب في هذه المرحلة من عمره مجموعة كتب ودراسات رائدة، كما أصبح من كتاب مجلة الأضواء الإسلامية، التي لا يكتب فيها عادة إلا كبار الكتاب من الأدباء، والمفكرين[١].

ثانياً: شيوخه:

درس الشيخ الآصفي رحمه الله على يد كبار العلماء في النجف الأشرف، نذكر منهم: والده آية الله الشيخ علي محمد الآصفي، وآية الله صدر الدين البادكوبي، والشيخ محمد رضا المظفر، كما درس عند[٢]:

١- آية الله السيد علي الساوجي.
٢- الشيخ علي الكازروني.
٣- الشيخ محمد حجار باشي السلطاني.
٤- الشيخ محمد علي المدرس الأفغاني.
٥- الشيخ مجتبى اللنكراني.
٦- السيد أسد الله المدني. (شهيد المحراب).
٧- الشيخ مسلم الملوكتي السرابي.

وأما أساتذته في الفقه والأصول على مستوى البحث الخارج فهم:

١- الإمام السيد روح الله الخميني.
٢- والإمام السيد محسن الحكيم.
٣- والإمام السيد أبو القاسم الخوئي.
٤- السيد عبد الله الشيرازي.
٥- السيد محمد الروحاني.

وغيرهم من المراجع الكبار والعلماء الأعلام.

حتى اصبح من الأساتذة المعروفين، فهو المدرّس في الحوزة والمحاضر في الكلية، وهو المعلم في الأخلاق والعرفان والتربية، والمتحدث في الجمعيات الثقافية، والكاتب في المجلات والدوريات، والمنظر في أجواء الحركة الإسلامية، وتنظيماتها الحركية.

ثالثاً: تلاميذه:

كان للشيخ الآصفي تلاميذ كثر يوم كان في النجف الأشرف مدرساً في الحوزة العلمية، وأستاذاً في كلية الفقه وكلية أصول الدين في بغداد.

ولكنه في الهجرة وبسبب ظروفها العصيبة، وطبيعة انشغالاته وأعماله، وإدارة مشاريعه السياسية والثقافية والإنسانية، لم يتخصص بالدراسة، ولم يتفرغ لإعداد الطلبة والتلاميذ بشكل مباشر.

إلا أنه كان في أيام العطل، وساعات الفراغ يعقد دروسا في الفقه والتفسير لعدد غير قليل من التلاميذ المتعلقين به روحيا، والمحبين لفكره ونهجه العلمي.

نذكر منهم:

١- الشيخ جمال مال الله الربيعي.

٢- الشيخ كاظم عنبر الفتلي.

٣- الشيخ منهل تمكين الظالمي.

٤- الشيخ أبو حسن الشريفي.

٥- الشيخ الدكتور أبو صلاح المنصوري.

٦- الشيخ عبد الكريم الأنصاري

٧- الشيخ الدكتور عبد الإله الشبيب.

وغيرهم من الطلاب والعلماء الذين لازموا الشيخ الآصفي في دروسه وبحوثه الفقهية، والتفسيرية. وكان (الشيخ الدكتور عبد الإله الشبيب) مقررا لبحوثه في كتاب الجهاد، وكتاب الجعالة، وكتاب فقه البنوك وأعمالها المالية[٣].

رابعاً: مؤلفاته:

كتب(قُدِّس سرُّهُ) في بداية مشواره الثقافي مجموعة كبيرة من الكتب والمؤلفات ذات العمق الثقافي، والمنهج العلمي الرصين، نذكر منها[٤]:

١- المدخل إلى التشريع الإسلامي.

٢- أثر العلوم التجريبية في الإيمان بالله. ترجمة.

٣- الشيخ المظهر وحركته الإصلاحية في النجف الأشرف.

٤- النظام المالي وتداول الثروة في الإسلام.

٥- ساعات الفراغ.

٦- نظرية العلاقة الجنسية في القرآن الكريم.

٧- حقيقة الحرية.

٨- الدعاء عند أهل البيت عليهم السلام.

٩- المنهج العلمي في ترتيب الأدلة الاجتهادية.

١٠- الإمامة في التشريع الإسلامي.

١١- الاجتهاد والتقليد وشؤون الفقيه.

١٢- التخطيط السياسي في السيرة النبوية.

١٣- في رحاب الإمام الحسين عليه السلام. عدة أجزاء.

١٤- دور الدين في حياة الإنسان.
١٥- الأمة الواحدة والموقف من الفتنة الطائفية.
١٦- في رحاب القرآن الكريم. أربعة عشر جزءاً.

كما كتب الشيخ الآصفي ايضاً جملةً من المقدمات للكتب العلمية والثقافية العامة، وكانت مقدمات واسعة ومعمقة تصلح أن تكون كتباً ودراسات مستقلة نذكر منها[٥]:

١- مقدمة كتاب اللمعة الدمشقية، للشهيد الأول. وهي دراسة موسعة ومعمقة حول تأريخ الفقه الجعفري.
٢- مقدمة كتاب رياض المسائل، للسيد علي الطباطبائي.
٣- مقدمة على تفسير البرهان، للمحدث البحراني.
٤- مقدمة كتاب النهاية ونكتها، للشيخ الطوسي والمحقق الحلي.
٥- مقدمة كتاب عقائد الإمامية، للشيخ محمد رضا المظفر.

وغير ذلك من الكتب والدراسات والبحوث المتنوعة، في مختلف صنوف المعرفة الإسلامية، كما كتب في المجلات والدوريات الثقافية والأدبية.

وقد خلف الشيخ الآصفي عدداً كبيراً من المخطوطات، وكتباً أُخَر لم يكتمل تأليفها، وقد أوصى اللجنة الخاصة بتنفيذ وصيته، وبعض خاصته ومحبيه بطبع تلك المخطوطات، وإكمال تأليف كتبه الناقصة من لدن ذوي الشأن والمعرفة بفكر الشيخ الآصفي، ونهجه، وأسلوبه في الكتابة والتأليف.

خامساً: وفاته:

مع مرور الأيام كان المرض يزحف على الشيخ الآصفي ويجتاح جسده المتعب حتى دخل المستشفى أكثر من مرة في العراق، وإيران، ولندن، وفي فجر يوم الخميس الرابع من حزيران ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م، وبعد أداء صلاة الصبح نزف قلبه المثخن بالجراح والآلام، فلم يستطيع جسمه النحيل مقاومة نزف الدم، فضعف عن المقاومة، حتى سقط بين يدي أحبته وذويه، فلم يتمكنوا من اسعافه وإنقاذه.

فلبى الشيخ الآصفي نداء ربه، الذي طالما استجاب لندائه مطيعاً ملبيا، فتواقف القلب الكبير، وسكنت الأنفاس الطاهرة، لترجع نفسه المطمئنة إلى ربها راضية مرضية.

وقد فُجِعَ كل محبيه وعارفي فضله بالحدث الجلل، فبكته العيون بدموع ساخنات، وشيعته أكف الشباب المؤمنين، الذين عملوا معه، وعايشوه أباً حانياً، ومعلماً فذاً، وإنساناً فريدا في فكره، وروحه وزهده، وتقواه وجهاده[٦].

المبحث الثاني

تفسير في رحاب القرآن

التفسير

التفسير: تبين وايضاح المقصود من الكلام فان من الكلام ما هو واضح وبين ولا يحتاج الى توضيح ويتلقاه السامع والقارئ ويفهمه من دون شرح وايضاح ومن الكلام ما لا يفهمه السامع والقارئ الا بعد شرح وايضاح وبيان.

والقرآن الكريم من القسم الثاني من الكلام؛ ولذا تمس الحاجة إلى تقديم شرح وتقسيم لكلام الله تعالى ليفهمه الناس حق الفهم.

وهذه الحاجة هي اساس علم التفسير الذي هو من اكثر العلوم الاسلامية عمقاً وتقدماً(٧).

وفي ذا يقول أبو حيان التوحيدي في مقدمة تفسيره: "التفسير: علم يبحث فيه عن كيفية النطق بالفاظ القرآن ومدلولاتها واحكامها الافرادية والتركيبية ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب وتتمات لذلك".

ثم شرحه بقوله: "فقولنا: (علم) هو جنس يشمل سائر العلوم، وقولنا: (يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن) هذا هو علم القراءات، وقولنا: (ومدلولاتها) أى مدلولات تلك الألفاظ، وهذا هو علم اللغة، وقولنا: (وأحكامها الإفرادية والتركيبية) هذا يشمل علم التصريف، وعلم الإعراب، وعلم البيان، وعلم البديع، وقولنا: (ومعانيها التى تحمل عليها حالة التركيب) يشمل ما دلالته بالحقيقة وما دلالته بالمجاز، وقولنا: (وتتمات لذلك) هو معرفة النسخ، وسبب النزول، وقصة توضح ما انبهم فى القرآن، ونحو ذلك"(٨).

وليس من شك في أن رسول الله ﷺكان يلقي هذا الكلام على الناس من دون شرح وتفسير فيفهمونه ويتفاعلون معه، وليس من شك أيضاً في أن الناس يقرؤون هذا القرآن عبر القرون فيفهمونه ويتفاعلون معه دون ان يقرؤوا له شرحاً وتوضيحاً فليس القرآن كتاب الغاز ورموز وانما هو بيان ونور للناس: **﴿هَـذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾**(آل عمران:١٣٨).

آراء في التفسير:

تعرض التفسير الى ضربين من الرأي في طرفي الافراط والتفريط فقد تصور بعض العلماء ان النص القرآني لما كان نازلاً بلغة العرب**﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾**(الشعراء:١٩٥) وكان الصحابة في حياة رسول الله ﷺ والمسلمون من بعدُ

يتلقونه ويتلونه ويفهمونه بيسر ومن دون تعقيد فلا يحتاج النص القرآني للذين يتكلمون بلغة القرآن الى تفسير وايضاح.

والرأي الاخر هو الذي تتبناه بعض طوائف الاسلامية في إباء النص القرآني للتفسير وعدم حجية ظواهر القرآن واحتجوا على ذلك بجملة من الروايات والاحاديث لا تنهض بهذه الدعوى وانتهوا الى ان النص القرآني لا يمكن فهمه بشكل دقيق الا اذا اقترن هذا النص بتفسير دقيق من جانب المعصوم.

وساد بين هذا التصور وذاك تصور ثالث وسط كان هو التصور الحاكم على الاوساط العلمية الاسلامية وهو الحاجة الى التفسير لفهم النص القرآني أولاً وقبول النص القرآني للتفسير وامكانية التدبر والتأمل في آيات كتاب الله لعامة العلماء ثانياً[٩].

الآصفي.. مفسراً:

منذ عرفت الشيخ الآصفي باحثاً ومحاضراً، ومتحدثاً وواعظاً، كان القرآن الكريم محور محاضراته ودراسته، ومصدر أحاديثه ومواعظه، فقلما يبتدأ في حديث بغير القرآن، فقد تشبع فكره، وروحه، ومشاعره بكتاب الله، ولم تكن أحاديثه وبحوثه تقليدية كالتي يتبعها الباحثون عادة في تفسير القرآن الكريم، إذ يبدؤون بتفسير المفردات الصعبة، وأسباب النزول، وعرض ما يمكن استعراضه من خلال فهم الآيات وما تنطوي عليه من دروس، ومفاهيم، واحكام.

فالشيخ الآصفي عميق التأمل في القرآن الكريم، وهو يمتلك قدرة تصويرية فنية لاستنطاق الآيات، واستيحاء المفاهيم التربوية والأخلاقية والحركية التي يمكن أن تستنبط من أجواء الآيات، وما تفيض به من دروس وعظات، وقيم اخلاقية وروحية.

ورحلة الشيخ الآصفي مع القرآن الكريم، رحلة طويلة، بدأت منذ دراساته الأولى في مساجد النجف الأشرف، واستمرت معه في تدريسه لعلم التفسير في كلية الفقه، وكلية أصول الدين في بغداد.

فضلاً عن محاضراته الثقافية والتربوية التي كان يلقيها على مجاميع الشباب في هذا البلد أو ذاك، خصوصاً في مواسم التبليغ والإرشاد الديني، كموسم شهر رمضان المبارك، وموسم الحج وغيرهما من المواسم والمناسبات.

أما في الكويت فقد كان للقرآن الكريم في حياة الشيخ الآصفي شأن آخر، إذ كانت أحاديثه تكاد تكون يومية، ومنتظمة في جامع النقي المبارك.

وكانت للشيخ الآصفي رحمه الله مساهمات جادة في دعم الحركة القرآنية، وتشجيع مؤسسات حفظ القرآن الكريم، وتكريم الشباب الموهوبين في تلاوة القرآن وتجويده، وإشاعة الروح القرآنية لدى المهاجرين العراقيين والأفغانيين وغيرهم من الرجال والنساء.

وفي فترة الهجرة الطويلة التي امتدت لربع قرن من الزمن المثقل بالهموم، والاعمال، والمزدحم بالأحداث الثقال، وإدارة المؤسسات الثقافية والخيرية، ومتابعة شؤون حزب الدعوة الإسلامية ومشاريع المعارضة العراقية لإسقاط النظام البعثي في العراق، كانت نتاجاته العلمية قليلة نسبيا في تلك الفترة؛ وذلك بسبب ظروفها الصعبة.

ومع ذلك فإن الشيخ الآصفي كان القرآن في هذه الفترة حليفه الدائم، ونبراسه الذي يستضيء به، ومعينه الذي ينهل منه، ومرجعه الفكري والروحي في إعداد المحاضرات، والبحوث والدراسات القرآنية في مختلف الموضوعات الحيوية في بناء الفرد والأمة، ومعالجة إشكاليات الفكر والثقافة، وعرض مفاهيم النظام والدولة والحضارة(١٠).

تاريخ التفسير:

مر علم التفسير بثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: تبدء برواية الاحاديث الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام (١١):

إذ اشتهر نفر من الصحابة والتابعين في رواية هذه الأحاديث من مثل عبد الله بن عباس، وابن مسعود، وجابر بن عبد الله، وابو سعيد الخدري، وغيرهم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله، كما تناقل روايات أئمة اهل البيت عليهم السلام في التفسير من تفسر من اصحاب الائمة عليهم السلام خلال هذه الفترة.

وقد روى أصحاب أهل البيت عليهم السلام طائفة واسعة من الاحاديث في تفسير القرآن لم يتيسر لصحابة رسول الله صلى الله عليه وآله أن يرووها عن رسول الله صلى الله عليه وآله، وذلك لقصر الفترة التي تمكن فيها اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله من رواية الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وطول الفترة الزمنية التي تمكن فيها اصحاب اهل البيت من رواية الحديث عنهم عليهم السلام(١٢).

المرحلة الثانية: مرحلة التدوين والتجميع:

وفي هذه المرحلة توفر العلماء من الفريقين على تجميع ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله واهل البيت عليهم السلام ضمن كتب منظمة ومدونة، من قبيل: كتاب التفسير لابن

جرير الطبري من أئمة التفسير في أواخر القرن الثالث وأوائل القرن الرابع الهجري، من علماء السنة، وفرات بن ابراهيم في القرن الثالث، وابي النضر محمد بن مسعود العباسي السمرقندي في اواخر القرن الثالث الهجري، وعلي بن ابراهيم القمي في أواخر القرن الثالث وأوائل القرن الرابع الهجري، ومحمد بن ابراهيم النعماني في أوائل القرن الرابع الهجري، وتفسير علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي (المتوفي سنة ٣٢٩هـ/٩٩٩م)، ذكره النجاشي في الرجال كما ذكره السيد ابن طاوس، وتفسير ابن الوليد محمد بن الحسن بن احمد بن الوليد (المتوفي سنة ٣٤٣هـ/٩٥٤م)، ذكره النجاشي في الرجال[١٣].

المرحلة الثالثة: مرحلة كتابة علم التفسير:

تبدأ من القرن الخامس الهجري، وفي هذه المرحلة يكتب علم التفسير نضجاً حقيقياً، بممارسة الاجتهاد والرأي في كتاب الله، ويتجاوز التفسير مرحلة الرواية والنقل والتجمع الى مرحلة الاجتهاد والنظر والرأي من قبيل: الواحدي في القرن الخامس الهجري، والزمخشري في القرن الخامس والسادس الهجري، وفخر الدين الرازي في القرن السادس الهجري من علماء السنة، ومن علماء الشيعة: السيد الرضي في حقائق التأويل في القرن الرابع والخامس الهجري، وشيخ الطائفة الطوسي في القرن الخامس الهجري في تفسير التبيان وغيرهم[١٤].

الآصفي.. في رحاب القرآن:

تجاوز الشيخ الآصفي منهج التفسير التجزيئي (الترتيبي) الذي يفسر التفسير الموضوعي، الذي يتناول موضوعات محدودة، ثم يتناول كل ما جاء حولها في القرآن الكريم آيات بينات محكمات، على وفق منهج الإستنطاق، والاستيحاء القرآني، من أجل اكتشاف الرأي الشامل، والنظرية المتكاملة في هذه الموضوعات المطروحة.

وعلى الرغم من أشغال الشيخ الآصفي رحمه الله الكثيرة، واهتماماته الثقافية والسياسية والاجتماعية، فقد أنجز صحائفه الموضوعية في رحاب القرآن، حتى بلغت أكثر من أربعة الآف صفحة.

وقد طبقت تلك السلسلة أربع مرات، وترجمت إلى اللغة الفارسية، ونشرت في طهران في عشرة مجلدات.

ويعدّ تفسير (في رحاب القرآن) للشيخ الآصفي، موسوعة تفسيرية، ثقافية، إيمانية على وفق المنهج الموضوعي، ومصدراً علمياً للباحث، ومادة ثقافية للأستاذ، والخطيب، والمثقف، والداعية.

ولا شك في أن هذه الموسوعة تهدف إلى خلق جبلٍ قرآنيٍّ يملأ الفراغات الثقافية والروحية في الشأن الثقافي والتربوي بعامة[١٥].

منهج الآصفي في رحاب القرآن الكريم:

يتألف هذا التفسير الموضوعي الموسع من أربعة عشر جزءاً، نعرض منها[١٦]:

الجزء الأول تضمن التفسير عند أهل البيت(عليهم السلام) ووعي القرآن والميثاق والشهادة والشهود.

أما الجزء الثاني فتضمن السلام في الإسلام، والولاء والبراءة، (ولاية الله)، ووحدة المنطق والمسيرة في رسالات الله، والانشراح، والكلمات الابراهيمية العشرة في القرآن الكريم، وقد استعرض الشيخ الآصفي في هذا الجزء من تفسيره (في رحاب القرآن) سورة الانشراح، ووحدة المسيرة في رسالات الله، وكلمات خليل الرحمن إبراهيم في القرآن الكريم، كما تناول فكرة، أو مفهوم علاقة الإنسان الذاتية بالقرآن.

أما الجزء الثالث فتطرق فيه الى علاقة الانسان الذاتية في القرآن، وميراثان في كتاب الله، والعجب، والقوة والسلطة في القرآن، وحضور القلب في الصلاة، ﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾، والفطرة، والدعوة والمواجهة، وآية التطهير، والاصر والاغلال، ومحاسبة المستضعفين، وآية النبأ.

والجزء الرابع جاء في تفسير الكرامة في القرآن، والربانية، والفتنة والفرقان في القرآن، التغيير، الولاء والبراءة في القرآن، وسنة التعميم في القرآن، الحتميات، وعلى طريق ذات الشوكة، والقومية في القرآن، والمراحل الخمسة في تاريخ الانسان في القرآن، والكمال الانساني والتقرب الى الله، ونظرية العلاقة الزوجية في القرآن، وموضوع المدخل إلى تاريخ النبي موسى بن عمران عليه السلام في القرآن، وفي علاقة النصر بالله تعالى في ساحة المعركة.

وجاء الجزء الخامس من رحاب القرآن ليشمل موضوعات مع العبد الصالح ذي النون(عليه السلام) في رحلة العودة إلى الله وهي موضوعات فكرية وحركية، ذات أبعاد تربوية وأخلاقية في حياة الدعاة والعاملين في سبيل الله، والمذهب التأريخي في القرآن الذي ذكر الشيخ الآصفي فيه المذهب التأريخي في القرآن، وتحدث عن العصم، والصراط، وحدود الله، وجزاء من تخطى حدود الله وجزاء من يتخطى حدود

الله، والكلمة الطيبة ودروس من سورة الشرح، والملائكة، وفتية الكهف، والنصيحة، وحرمات الله، والقبول والجزاء في القرآن الكريم، والهجرة والولاء، والفرقان والاستعاذة، والكلمة التوحيد في القرآن، وباطن الاثم، وأزمة المسلم المعاصر بين التراث والمعاصرة، وموضوع الكتب الناطق، ودور الليل والنهار في حياة الإنسان، ودوره فيهما، والمردود السلوكي للإنسان، عند النعمة والإبتلاء.

ويتحدث الشيخ الآصفي في بقية أجزاء تفسيره عن موضوع الغربة والاغتراب، وأدب التعامل مع الخطاب الإلهي، والاعتكاف، والثقافة القيادية والإدارية في القرآن والسنة، ومداخل الصدق ومخارجه.

وهي بحوث ودراسات مهمة البتة، ولاسيما ما يتعلَّقُ منها بموضوع الثقافة القيادية، والإدارية في القرآن الكريم؛ وذلك لأهمية القيادة في الثقافة، والإدارة لشؤون الحياة ومؤسساتها المتنوعة، وبخاصَّةٍ الأسرة، ومنظمات المجتمع المدني، وشؤون الدولة، وإدارة مؤسساتها العامة؛ لأننا في أزمة قيادةٍ، وإدارةٍ نحتاج فيها إلى ثقافة عميقة، ومتبصرة في مجال القيادة، والإدارة.

مصادر الآصفي ولغته في التفسير:

إن منهج الشيخ الآصفي في تفسيره الموضوعي **(في رحاب القرآن)** كان يميل إلى التأمل، واستنباط المفاهيم الفكرية والروحية والاجتماعية من خلال استناده إلى خزينه الثقافي والعرفاني الذي تميز به في دراساته، وتأملاته.

ولكن هذا لا يعني أنه لا يعتمد على مصادر اللغة والمعاجم، وكتب الحديث والتأريخ والأخلاق، فقد اعتمد الشيخ في تفسيره: (رحاب القرآن) على مصادر الحديث عند الشيعة والسنة بشكل مُحبك ومتقن.

فقد كانت الكتب الأربعة المعتبرة عند الشيعة الإمامية وهي: (الكافي، ومن لا يحضره الفقه، والتهذيب، والاستبصار)، وما يلحق بها من كُتُب أُخر من مثل: نهج البلاغة، وتحف العقول، ووسائل الشيعة ومستدركاتها، وبحار الأنوار، وخصال الصدوق، وغرر الحكم، ودرر الكلم. وغيرها من أمَّات كتب الحديث والتراث الإسلامي عند الشيعة والإمامية من مصادر تفسيره الرئيسة.

كما أنه كان يرجع إلى كتب الحديث عند السنة والجماعة، فكان يقتبس بعض الروايات من الصحاح الأربعة ومستدركاتها، وكتاب كنز العمال للمتقي الهندي، وغيرها من الكتب الكثيرة التي يرجع إليها العلماء لمعرفة أصول العقيدة، وأحكام الشرعية والمفاهيم الاخلاقية والتربوية في الإسلام.

وقد فتحت وفرة المصادر وتنوعها في مختلف صنوف المعرفة للشيخ الآصفي(قُدِّس سرُّهُ) آفاقا خصبة ورَحْبة في تفسيره الموضوعي، مما جعله عميقا في تحليله، وواسعا في بحوثه ودراساته في الموضوعات التي طرقها في تضاعيف هذا التفسير المبارك.

أما لغته التي استعملها في رحاب القرآن، فكانت نسيج وحده، له لغتُهُ، ونهجه في الإسلوب والصياغة، كما أن له في أحاديثه لغة خاصة به، لغة لها تأثيرها الروحي المميز، من خلال حركة يديه، وإيماءات وجهه، ولفتات عيونه(١٧).

ولو أن مثقفا قرأ كتابا واحداً للشيخ الآصفي رحمه الله ثم قرأ له كتبا آخر من دون أن يقرأ اسمه عليها، فإنه سوف يعرف بكل وضوح ودقة أنها للآصفي وليس لغيره.

ذلك أنَّ مفرداته في هذه اللغة، وطريقة سبكه وتعبيره في نثره يضفي على هذا السبك روحا من عنده، ونفحات من عرفانه، مما يجعل تلك اللغة تفوح بأسلوب الآصفي، وتشير إليه من دون تكلف، أو مبالغة، أو تهويل.

فإن الآصفي يميل إلى التكرار غير الممل، واعتماد الأمثلة الحسية، والاجتماعية التي يألفها الناس في حياتهم.

ولا شك في أن التكرار، والتمثيل اسلوبان من أساليب التعليم، كيما تترسخ الفكرة، ويتعمق المفهوم في ذهن المتلقي من دون جهد أو عناء.

ولذلك لا تكاد تشعر بالفارق النوعي بين حديثه وكتابته، أو بين لسانه وقلمه، فكل منهما يدل على الاخر، وهذه الخصائص والسمات قلَّما تجتمع عند باحث أو كاتب أو مفكر.

فبعض الكتاب يجيد الحديث والخطابة على حساب قلمه وكتاباته، وبعضهم الآخر يجيد الكتابة والنقر الرائع على حساب حديثه وحواراته، ومنهم- وهم القلة- ممن تستوي عنده الكتابة والخطابة، واللسان والقلم، فهو يجيدهما معا ومن الصعب أن تفاضل بينهما.

ولعل الإمام الشهيد الصدر، والشيخ محمد أمين زين الدين، والشيخ محمد مهدي شمس الدين، والسيد محمد حسين فضل الله، وغيرهم من الأعلام الذين تساوت عندهم خصلة الحديث والخطابة مع صفة التصوير في النثر والكتابة.

والشيخ الآصفي هو من هؤلاء؛ اذ عرف بدقة المصطلح، ورقة الكلمة، وكثافة الجملة، وقوة المعنى وجمال التصوير، سواء أكان ذلك في حديثه التربوي الممتع، أم في كتاباته الثقافية والتربوية الرائعة.

ولا تختص هذه الصفة من صفات الشيخ الآصفي رحمه الله بكاتبه **(في رحاب القرآن)**، بل هي صفة غالبة في كل ما كتب وخطب، منذ أن تصدى للكتابة والحديث والخطابة في بدايات حياته الثقافية والحركية، وحتى آخر مقالٍ كتبه، أو حديثٍ تحدث به.

ولا نريد أن نستعرض في هذا المجال الأمثلة، والشواهد في هذا الموضوع؛ خشية الإطالة، والخروج عن خطة هذا الكتاب ومنهج البحث فيه[١٨].

الخاتمة:

إن الشيخ الآصفي هو الشخصية الموسوعية في ثقافتها فهو العالم الجليل الكبير في مجال علوم أهل البيت(عليهم السلام) والدراسات الحوزوية والاكاديمية وهو المفكر الاسلامي صاحب الرؤية والموقف والعطاء.

فقد كانت حياته حركة قائمة بذاتها حركة داخل الحركات الاسلامية يرفدها بفكره ومواقفه معتمداً الاصرار على المواصلة فتستحيل تحت اقدامه منبسطة سهلة كما هي دائماً مع العظماء وذوي الوعي المبكر والارادة الصلبة.

قدم الشيخ كتباً ومحاضرات وكانت الى جانب تميزها بقوة الفكرة وعمق الرأي تدخل الى القلب ومنه تصعد الى الذهن وتستقر الى الابد.

إن الجهد التفسيري للعلامة الشيخ الآصفي لا يمكن حصره في اطار ما تضمنه كتاب (في رحاب القرآن) فقط؛ فاستنطاق الشيخ للقرآن واقتداؤه به يكاد يغلب على اكثر نتاجاته الفكرية وجاء ذلك في منهجه العقلي عند التفسير ويلجأ الى قواعد اللغة لبيان الحصر وبيان الفرق بين الارادة التكوينية والارادة التشريعية واثبات عصمة اهل البيت(عليهم السلام) فاذا وصل الى ﴿ليذهب عنكم الرجس﴾ ظهر منهج تفسير القرآن بالقرآن لأثبات كون المراد من الرجس كل انواعه المادية والمعنوية .

الهوامش:

(١) حسين بركة الشامي، محمد مهدي الآصفي المفكر الداعية والانسان- محطات ومواقف، مطبعة السلام، جنين، (د.ت)، ص٥٣-٥٤.
(٢) المصدر نفسه، ص٥٦-٥٧.
(٣) المصدر نفسه، ص٥٩-٦٠.
(٤) المصدر نفسه، ص٦٤-٦٥.
(٥) المصدر نفسه، ص٦٨-٧١.
(٦) المصدر نفسه، ص٢٦٤-٢٦٦.
(٧) محمد مهدي الآصفي، موسوعة الآصفي- في رحاب القرآن، مراجعة: محسن النوروزي والسيد حسين بني هاشمي، ط١، مؤسسة بوستان كتاب، ١٤٣٦هـ، ج١، ص٢٣.
(٨) بن حيان الاندلسي، اثير الدين (ت٧٤٥هـ/١٣٤٤م)، البحر المحيط في التفسير، تحق: صدقي محمد جميل، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٢م، ج١، ص ١٣- ١٤.
(٩) محمد سالم محيسن، في رحاب القرآن الكريم، دار الجيل، بيروت، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، ج١، ص١٩٨.
(١٠) حسين بركة الشامي، محمد مهدي الآصفي المفكر الداعية والانسان، ص٧٣-٧٧.
(١١) الطبطبائي، العلامة السيد محمد حسين، تفسير الميزان، صححه واشرف على طباعته: الشيخ حسين الاعلمي، ط١، منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٩٩٧م، ج١١، ص١٤٣.
(١٢) إبن عياش، محمد بن مسعود السلمي السمرقندي، تفسير العياشي، مؤسسة الإعلمي، بيروت، ١٤١١هـ/١٩٩١م، ج١، ص٧٨؛ الشيخ الصدوق، ، محمد بن علي (ت٣٨١هـ/٩٩١م)، عيون اخبار الرضا عليه السلام، تصحيح وتعليق وتقديم : الشيخ حسين الأعلمي، مؤسسة آل البيت (عليهم السلام)، قم، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م ،ج١، ص٦٠؛ ابن سعد، محمد بن سعد (ت٢٣٠هـ/٨٤٤م)، الطبقات الكبرى، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ/١٩٩٠م، ج٢، ص١٩٤؛ فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب=التفسير الكبير=تفسير الرازي، ط١، دار الفكر، بيروت،١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، ج٤، ص١٧٩؛ ابن كثير، ابو الفداء اسماعيل بن عمران (ت٧٧٤هـ/١٣٧٢م)، تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير)، ط٢، دار طيبة، الرياض، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، ج٥، ص٤١٨.
(١٣) النجاش، ابو العباس احمد بن علي النجاشي الاسدي الكوفي، رجال النجاشي، ط١، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت، ٢٠١٠م، ص٣٨٣، الرقم ١٠٤٢.
(١٤) محمد مهدي الآصفي، موسوعة الآصفي- في رحاب القرآن، ج١، ص٣٧.
(١٥) حسين بركة الشامي، محمد مهدي الآصفي المفكر الداعية والانسان، ص٧٩-٨٣.
(١٦) المصدر نفسه، ص٨٥-٩٠.
(١٧) المصدر نفسه، ص٩٥-٩٧.
(١٨) المصدر نفسه، ص٩٩-١٠٠.

المصادر

١- ابن سعد، محمد بن سعد (ت٢٣٠هـ/٨٤٤م)، الطبقات الكبرى، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ/١٩٩٠م.

٢- إبن عياش، محمد بن مسعود السلمي السمرقندي، تفسير العياشي، مؤسسة الإعلمي، بيروت، ١٤١١هـ/١٩٩١م.

٣- ابن كثير، ابو الفداء اسماعيل بن عمران (ت٧٧٤هـ/١٣٧٢م)، تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير)، ط٢، دار طيبة، الرياض، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

٤- بن حيان الاندلسي، اثير الدين (ت٧٤٥هـ/١٣٤٤م)، البحر المحيط في التفسير، تحق: صدقي محمد جميل، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٢م.

٥- حسين بركة الشامي، محمد مهدي الآصفي المفكر الداعية والانسان- محطات ومواقف، مطبعة السلام، جنين، (د.ت).

٦- الشيخ الصدوق، محمد بن علي (ت٣٨١هـ/٩٩١م)، عيون اخبار الرضا عليه السلام، تصحيح وتعليق وتقديم : الشيخ حسين الأعلمي، مؤسسة آل البيت (عليهم السلام)، قم، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

٧- الطبطبائي، العلامة السيد محمد حسين، تفسير الميزان، صححه واشرف على طباعته: الشيخ حسين الاعلمي، ط١، منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٩٩٧م.

٨- فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب=التفسير الكبير=تفسير الرازي، ط١، دار الفكر، بيروت،١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

٩- محمد سالم محيسن، في رحاب القرآن الكريم، دار الجيل، بيروت، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، ج١، ص١٩٨.

١٠- محمد مهدي الآصفي، موسوعة الآصفي- في رحاب القرآن، مراجعة: محسن النوروزي والسيد حسين بني هاشمي، ط١، مؤسسة بوستان كتاب، ١٤٣٦هـ.

١١- النجاش، ابو العباس احمد بن علي النجاشي الاسدي الكوفي، رجال النجاشي، ط١، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت، ٢٠١٠م.

Method of Muhammad Mahdi al-Asafi in his interpretation (in the rehab of the Koran)

Prepared by the researcher
M. Dr. Noor Nizamuddin Najm al-Din
Teaching at the University of Baghdad
Faculty of Education for Human Sciences / Ibn Rushd
Department of Quran Sciences
Mobile number 07711594825

Abstract
Praise be to Allah, Lord of the Worlds, and prayers and peace be upon the best messengers and on his family and companions, and after ...
The diversity of Quranic verses and the different levels of understanding and understanding of its meanings and purposes and the different tastes and tastes of interpreters and the impact of subjective and subjective conditions that cast a shadow over the phenomenon of the interpretation of the interpretation of the emergence of different curricula and schools in the questioning of the divine book and diving deep.
What we are interested in here is shedding light on our present book (in the rehab of the Qur'an) and its distinctive approach to the author and his style and the extent of his success in achieving what they are attracted to.
The interpretative effort of the Sheikh Al-Asafi can not be limited to what is included in the contents of this book only. The Sheikh's questioning of the Holy Qur'an and its use of it almost invariably overtakes his intellectual achievements. The influence of the Qur'an on his scientific career is not hidden even to the general public

key words
(Interpretation, method, in the rehab of the Koran)